كالاخر · ثلاثة الاف قتيل ليسوا رقما · سيرة البشرية تقتحم طريقة الفهم الشائعة ، تنقض على التاريخ : انك تكذب · لايسمعهم التاريخ ، يعطيهم رقما ولا يجمع الاشلاء · لا يرى كيف التقطوا دماءهم ، قطرة قطرة ، من بين عشرات السنين ومساحات الرمل · يضعهم في جملة واحدة : ثلاثة الاف قتيل ماتوا في معركة · ولكن ·· لا احد يموت كالاخر · والكتابة ، كالتاريخ ، تكذب · نحن هنا نرتكب اكثر من مخالفة · نروي عنهم ونخفي بعض ما قالوا وما يقولون لننقذ اللحظة السياسية العابرة من الحرج · لا وصية لهم ولا قبر · رسونا على دمهم وكان الارض · وفي اوج الكتابة كانوا يموتون بدلا منا · كانوا هم الذين يكتبون · وظلت الكتابة تكذب · وفي ساعات الدم الكبرى ·· في ساعاتهم نتساءل عن جدوى الكتابة ، ونمضي في السؤال لنسأل عن جدوى الحياة ذاتها · نعم ، سنشك في كل شيء ، سنشك في الحياة من فرط ما ماتوا · وسنسأل : الى متى نرسم المواعيد ونسقط ؟ وسيعيدون اسئلتنا الى التوازن · سيعيدون لنا الحياة ذاتها · سنؤمن ونتابعهم · هؤلاء الذين لا جدران تكفي لصورهم ، ولا اسم لاسمائهم ، ولا حبر لا حبر يكفي لتقليد دمهم · انهم مرميون على الارصفة والساحات والبذور ، مرميون على الشمس وفي الظلال ، مرميون في الحنان والظهيرة ، مرميون في الذاكرة والنسيان · وما علينا الا ان نشهر الاقلام ونغمسها في الايقاع الدموي الجاهز وفي الصور المجانية ، فيصير الكذاب فينا مخلصا والركيك متينا ويزدهر الادب الفلسطيني على دماء تل الزعتر · وتنهال باقات الورد ويمنع النقد ، لاننا نكتب عن تل الزعتر · ان بطولتهم شيء ، والكلام عن هذه البطولة شيء آخر · فلينصرف الذين يقيمون من اشلائهم متاريس الى هواياتهم الحقيقية · وليتحدث تل الزعتر عن تل الزعتر · لهم ، وحدهم، حق الكلام · هذا الكلام لهم · وسنجد في كلامهم كتابة تنفي الكتابة · سنرى في هذه الصفحات العفوية الخارجة من المذبحة والبطولة سقوط الكتابة وازدهار لكتابة · لنتعلم ابجدية الصدق والفن من هذه البساطة · ان لغتهم هي التي تغير · اشعر وانا خارج من هذا النص انني قادم لتوي الى الحياة· اي كاتب يستطيع العودة الى تقاليده بعد قراءة هذا النص الدموي ، ولا يكون كاذبا او قاتلا · سأتوقف عن الكتابة · سأتوقف عن الكتابة الى ان يهدأ دمي واجد كتابة اخرى ·

ان تل الزعتر اخطر حادث بطولة في تاريخ العرب · واسأل نفسي كثيرا: هل يكون الوطن وحشيا الى هذا الحد ؟ نعم ، وقبيح ايضا ومقدس حين يكون رئة الحياة · لم يقتل وطن ابناءه كما يفعل الوطن الفلسطيني ، ولم يبدع شغيلة وطنا كهذا الحلم الذي يغير عصرا · وحين يكون الحصار هو الحصار الاخير ، وحين يكون الخندق هو الخندق الاخير تصبح مساحة الصفيح الصغيرة هي الكون ، ويكون سقوط هذه البقعة سقوط الكرة الارضية في